الأنوار

الاحد 30-11-2008 العدد 17000

15

الرصيف الوحيد لمرفأ بيروت في بدايات القرن الماضي

مهاجرون على متن باخرة في مرفأ بيروت - صورة من المتحف

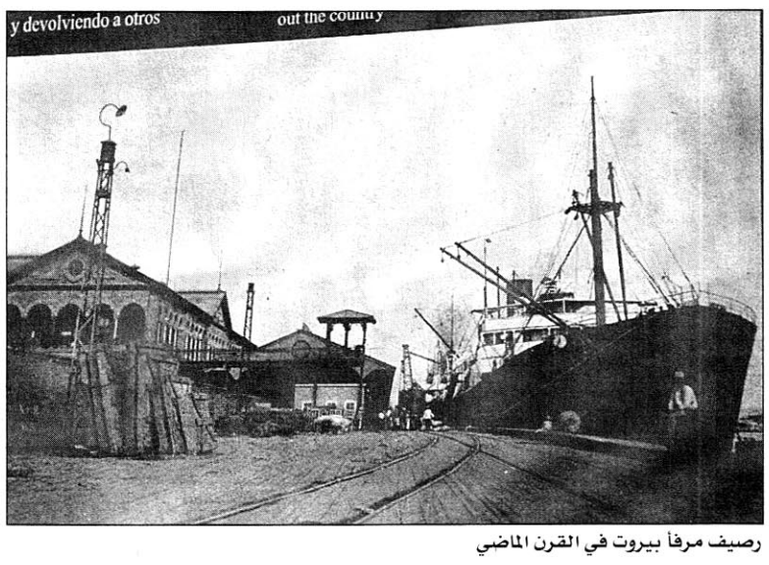

رصيف مرفأ بيروت في القرن الماضي

صور ووثائق عن المهاجرين الى البرازيل وكولومبيا والمكسيك والأرجنتين

متحف خاص بالهجرة اللبنانية في جامعة اللويزة يحيي ذكريات الماضي

جوازات سفر من عهد دولة لبنان الكبير

عائلة لبنانية مهاجرة من العام ١٩٣٩

جولة بين وثائق متحف الهجرة

(جورج سعد)

■ كتبت نهاد طوباليان:

في الوقت الذي يشكّل فيه ملف المغتربين والمتحدرين من أصل لبناني مادة جدلية سياسية دسمة بامتياز، ويخضع طرحه على طاولة البحث للتجاذب، بما يشبه التعامل بأسواق البورصة وما يسودها من ارتفاع وهبوط لأسعار الأسهم والمؤشرات الاقتصادية - حسب العرض والطلب - وفي ظل غياب أي مبادرة رسمية توفي هذا الملف حقّه - أقله في حفظ أرشيفه الفني - تطل المبادرة الخاصة، ميزة لبنان، في تلقف ذاكرة الهجرة اللبنانية وحفظها بالصوت والصورة والكلمة المكتوبة، متحفا قائما بذاته، يسجّل الى جانب تاريخ هذه الهجرة، مدى غناها وتشعبها، والأهم تعلقها بالجذور اللبنانية.

فعلى حين غفلة من الجميع، وفي الزمن الحاضر الذي يستحضر فيه السياسيون الاغتراب والهجرة اللبنانية - القديمة والحديثة - لأغراض ومصالح سياسية، بعضها ضيّق وبعضها الآخر لخدمة مصلحة لبنان الوطنية الكبرى، من دون ان تفطن أي جهة رسمية في التأريخ لهذه الهجرة واقامة صرح لها يحفظ ذاكرتها، أخذ مركز دراسات الانتشار اللبناني في جامعة سيدة اللويزة المبادرة: احياء ذاكرة الاغتراب والهجرة اللبنانية بكافة مكوناتها ومدوناتها وحفظها في متحف يشكل بما يحوي كتابا قائما بذاته.

ان يكون للبنان متحف للهجرة اللبنانية، فهذا أقل ما يمكن اقامته نظرا لما لهذا الوطن من سجل طويل وعريض مع الهجرة اللبنانية التي لم تتوقف يوما منذ هجرة أول مواطن لبناني هذه الأرض في منتصف القرن الثامن عشر. ولأن للهجرة اللبنانية أسبابها وتواريخها، والأهم موقعها أينما كان، في جهات العالم الأربع، الى انعكاسها الايجابي على تلميع صورة لبنان في الخارج، بات لها اليوم في لبنان اسما وعنوانا «متحف المغتربين اللبنانيين الجامعي» في حرم مبنى بيار خاطر كمرحلة أولى، على ان يصبح لاحقا «متحف الهجرة اللبنانية» عند الانتهاء من بناء صرح له قائم بذاته في جامعة سيدة اللويزة.

للوهلة الأولى، يبرز السؤال: وما يمكن يحتضنه المتحف؟ وهل بامكان حصر ذاكرة الهجرة الجماعية بكافة مراحلها وتشعباتها في متحف واحد؟ والأهم كيفية الحصول على ما يغذي هذا المتحف من وثائق وصور؟ جملة أسئلة سرعان ما تلقى الاجابة عليها من خلال زيارة «الأنوار» للمتحف... زيارة تحقيق استقلاله وسيادته. فمن هذه الجرائد مثلاً، جريدة الاستقلال الصادرة في ريو دي جانيرو - البرازيل - العام ١٩٢١، جريدة الحقيقة (١٩٣٣) لصاحبها ورئيس تحريرها الدكتور الياس عبدالله الخوري ومساعده في تحريرها الدكتور نجيب سليمان معضاد، جريدة «الاصلاح» الصادرة في أوليفايرا منياس - البرازيل عام ١٩٢١ لصاحبيها سعيد مطر ونجيب العسراوي، وجريدة «الجالية» في ساو باولو (١٩٢٢) لصاحبها ورئيس تحريرها سامي يواكيم الراسي وجريدة «الوطن» لصاحبها ورئيس تحريرها ابراهيم فرح، الصادرة عام ١٩١٩ في ساو باولو - البرازيل ايضا... وغيرها من الصحف والمجلات المهجرية التي تصدّرت صفحاتها الأولى في حينه أخبار لبنان الكثيرة، ما يؤكد مدى ترابط لبنان المغترب بالمقيم. ما سبق، كان ما يعرضه متحف المغتربين اللبنانيين الجامعي في حرم بيار خاطر، أما ما هو غير معروض ويحفظ في مستودعات، بانتظار العرض النهائي في المتحف المزمع بناؤه، على ان يحمل اسم «متحف الهجرة ولبنان» فهو كثير وغزير، وقد عمد مركز دراسات الانتشار اللبناني الى وضع جردة كاملة بالموجودات والمجموعات، في سياق ما يعرف بـ «الأرشفة» ومحفوظة على أقراص مدمجة، والاطلاع عليها عبر جهاز الكمبيوتر شكّل بدوره زيارة أخرى الى عالم الهجرة اللبنانية.

فما هو غير معروض اليوم، مجموعة كبيرة من الصور، والمقالات، الوثائق، المراسلات، جرائد ومجلات قديمة، شهادات، طوابع بريدية، لوحات وقطع فنية، مؤلفات موسيقية، عملات، صور، مؤلفات أدبية وشعرية... جميع هذه المستندات تقول المسؤولة عن إعداد فهرس موجودات ومحفوظات المتحف ليليان حداد، بعدما تصل الى دائرة الأرشفة، يجري تصويرها، وفيما تحفظ الأصول في المستودع، تحفظ الصور وتدخل على برنامج كمبيوتر خاص تحت اسم فهرس محتويات المعرض.

ولأن المتحف، يستقبل دوريا هبات من مغتربين ومهاجرين وسياسيين لبنانيين، يجري تجديد الفهرس، وتاليا اضافة الجديد من المجموعات بعد تصويرها على الكمبيوتر، لتأمين سهولة الاطلاع عليها، تقول ليليان حداد، وتضيف: ان الجديد في أرشيف الهجرة اللبنانية، خروجها من اطار الصورة والمستند الى المرئي والمسموع، ذلك اننا نتلقى أيضا تسجيلات مصورة من الجاليات اللبنانية في العالم، لمناسبات يقيمونها ولا سيما تلك الوطنية اللبنانية.

والأرشيف الاغترابي والمهجري المرئي والمسموع يحتل مكانة واسعة في هذا المتحف، واذ كانت غير معروضة اليوم، فان الكمبيوتر سمح بالاطلاع عليها بالصوت والصورة، من بينها مثلا حفلة راقصة أقامتها الجالية اللبنانية في الأرجنتين العام الفائت، لمناسبة عيد الاستقلال، هذه الحفلة التي أحيتها فرقة الأرز الأرجنتينية، أبرزت مدى تعلّق المتحدرين من أصل لبناني بالجذور اللبنانية، فهؤلاء وعلى الرغم من عدم اتقانهم اللغة العربية، ولا حتى فهمها، تقوم قيامتهم عند سماع أغنية «يا حجل صنين» لسفيرة لبنان الى النجوم فيروز، علما ان الهجرة اللبنانية الى الأرجنتين توقفت بعد الحرب العالمية الثانية، ولا يزال الجيل الخامس المتحدر من أصل لبناني متعلقا بمناسبات لبنان الوطنية، ويدمع عند سماع فيروز.

واللافت ان الأرشيف غير المعروض حاليا، يضم أيضا أهم مجموعة أدبية لما يعرف بـ «أدب المهجر»، بما في ذلك أعمال أهم شاعرة في أميركا الجنوبية من أصل لبناني من عائلة الحبش... والى هذه المجموعات، مجموعة موسيقية لمؤلفين وعازفين من أصل لبناني... والى أعمال موسيقية بتوقيع أجنبي تؤدي التحية لعظماء لبنان، من بينها قطعة موسيقية للمؤلفة وعازفة البيانو الأميركية مينوتا كيسلر التي وضعت كلام جبران خليل جبران عام ١٩٦٢ موسيقاها وأدتها في حينه السوبرانو ليسلي هولمز.

متحف الجامعيين الجغرافي

تقول مديرة مركز دراسات الانتشار اللبناني غيتا حوراني: ان متحف الهجرة ولبنان والذي يعرف اليوم بمتحف المغتربين اللبنانيين الجامعي، الهدف من اقامته ان يكون للبنان متحف شامل للهجرة من والى وعبر لبنان، بما في ذلك الهجرة العربية والدولية الى لبنان، والهجرة اللبنانية الى العالم، انه متحف لحفظ «ذاكرة الهجرة الجماعية» نظرا لارتباط الهجرة، ومنذ القدم بهذا الوطن الذي لليوم لم تتوقف.

ان جامعة سيدة اللويزة، تضيف غيتا حوراني، أخذت قرارا بتخصيص قطعة أرض داخل حرم الجامعة، لبناء متحف قائم بذاته، على ان يكون بمستوى عالمي ومواصفات متحفية عالمية، كي يكون صرحا تربويا في الوقت نفسه، وليفتح أبوابه للمدارس والجامعات والعموم والمهاجرين، على غرار متحف المهاجرين على جزيرة «اليس ايلاند» الأميركية.

أما عن سبب اختيار حرم الجامعة مقرا للمتحف، فتوضح حوراني: أن موقع الجامعة يقع على خط سياحي في قلب كسروان، يبدأ، من آثارات نهر الكلب، ويمر بيسوع الملك، فمغارة جعيتا، وصولا الى آثارات فقرا ومنطقة السياحة الشتائية في لبنان - أي التزلج - وعليه، فان موقع المتحف يقع على تقاطع هذه الطريق السياحية، فيشكل محطة أساسية وضرورية للتوقف وزيارته وتاليا الوقوف على أوجه الهجرة المتعددة.

فكرة انشاء المتحف بدأ مع تطوير مركز دراسات الانتشار اللبناني في الجامعة الذي يعنى بدراسة أوضاع المغتربين والهجرة من والى لبنان، وذلك بهدف حفظ الذاكرة الجماعية للهجرة، وشق المتحف طريقه الى حيث هو اليوم ومؤقتا خلال العام ٢٠٠٥ حين قدّم المستشار الثقافي السابق في سفارة البرازيل ومسؤول العلاقات العامة في المركز مع دول أميركا اللاتينية روبيرتو خطلب مجموعته الخاصة عن الهجرة اللبنانية الى البرازيل، تشكلت مجموعته هذه نواة المتحف، لتكر سبحة الهبات التي توالت وتتوالى الى المتحف من مغتربين ومهاجرين لبنانيين وسفراء وسياسيين، فيما المركز بدوره يشتري مجموعات حسب أهميتها ونوعيتها، اضافة الى مجموعة من الوثائق المهمة التي قدمها الأرشيف الوطني والبطريركية المارونية.

تخزين ذاكرة الهجرة الجماعية يهدف عرضها لاحقا متكاملة، عمل صعب تقول غيتا حوراني، ولكننا - تضيف - نلقى تعاونا وثيقا من الجمعيات المهجرية والمنظمات العالمية اللبنانية وغير اللبنانية التي تعنى بالاغتراب بشقيه اللبناني والعالمي، وبالمقابل، فان المركز على تواصل مع جميع هذه الجمعيات والمنظمات، ذلك لأننا أيضا لا نجمع فقط أرشيف الاغتراب والهجرة بمفهومها التقليدي، انما أيضا نجمع كل ما هو متعلق بالشخصيات اللبنانية المشهورة عالميا، كل في مجال اختصاصه، اذ سيكون لهم في المتحف جناح يسلّط الضوء عليهم، وعلى دورهم في العالم ولبنان.

المتحف هو لكل اللبنانيين، ولكل المهاجرين من لبنان، من مختلف الطوائف اللبنانية، لأن الذاكرة الجماعية للهجرة، يعني حفظ ذاكرة الجميع من دون اسقاط أحد منها، فجميعهم أدّوا ويؤدون دورا فاعلا أينما كانوا في العالم، وباتجاه لبنان، ومن الواجب حفظ ذاكرتهم للتاريخ وللبنان وللأجيال، تعلق غيتا حوراني وتقول: ان أهمية هذا المتحف انه الأول من نوعه في لبنان وأردناه ان يكون حافظا لذاكرة الهجرة ليس فقط للبنانيين انما أيضا للهجرة باتجاه لبنان، والتي تشهد لها كثافة من عدد من دول آسيا.

وبهدف تعزيز دور المتحف، تلفت غيتا حوراني الى ان مركز دراسات الانتشار اللبناني يقوم بتنظيم سلسلة من المؤتمرات المتخصصة، حيث سيكون باكورتها مؤتمرا فنيا بعنوان «الهجرة اللبنانية بعيون الفنانين اللبنانيين والمتحدرين من أصل لبناني، وذلك بالتعاون مع كلية الهندسة والفنون في الجامعة، وهدفه يرمي ليس فقط الى تحديد لبنان بعيونهم، انما أيضا الى جمع الشتات الفني اللبناني في العالم...

وفيما تزخر مفكرة المركز بالكثير من الأفكار التي بعضها يشق طريقه الى التنفيذ، وبعضها الآخر الى التنظيم للتطبيق، فان المركز خلية نحل ناشطة باتجاه دراسة واقع الاغتراب اللبناني من جهة ومن جهة أخرى التواصل مع هذا الاغتراب، والعمل على وضع اللمسات الأخيرة للمتحف بصورته النهائية، فان الهجرة اللبنانية وذاكرتها الجماعية، فيما سقطت من اهتمامات المسؤولين لجهة احيائها ثقافيا وتأريخيا، وحضورها في المناسبات الانتخابية والمزايدات السياسية، وجدت اليوم مكانها، على ان تشكل عبرة لمن يريد ان يعتبر، ولا سيما ان الهجرة اللبنانية، تستأهل دراسة أسبابها التاريخية بجدية تامة ومعالجة أسبابها والأهم تنظيم العلاقة معها خدمة للطرفين، على أمل ان تعاد اليهم الجنسية التي طال المطالبة بها... ولا من يسمع.

صور عن الاغتراب

طابع بريدي لمناسبة شهر المغتربين عام ١٩٥٠

من أجنحة متحف الهجرة اللبنانية

توزعت في أرجاء المتحف المؤقت، وأخرى في الأرشيف المحفوظ حاليا على أقراص مدمجة، تكرّ على شاشة الكمبيوتر، فتؤكد بما تحويه من كمّ هائل من وثائق وصور ومستندات ومراسلات جرت أرشفتها على الكمبيوتر، انها حيث تحفظ في مستودعات، تنقل للعرض في المتحف المزمع بناؤه ليكون للبنان متحف في غاية الأهمية يشبه الى حد كبير متحف المهاجرين الى بلاد العم سام والقارة الأميركية المقام على جزيرة «اليس ايلاند» على بعد أمتار من تمثال الحرية، والمواجهة كلاهما لمدينة نيويورك العملاقة.

من المتحف المؤقت المجاور لمتحف الحجارة، تبرز مجموعة كبيرة من الصور المعلقة لمهاجرين لبنانيين الى القارة الأميركية، بشقيها الشمالي واللاتيني... صور للبنانيين على متن بواخر الهجرة مطلع القرن العشرين، اى صور تروي تفاصيلها مناسبات المهاجرين في احيائها لعيد استقلال لبنان، الى صور لوثائق وهويات تؤكد لبنانية المهاجرين الى البرازيل، كولومبيا، المكسيك، الأرجنتين وأميركا...

الى مجموعة الصور التي تزين جدران المتحف، والتي يعتبرها ايلي نبهان - أحد المسؤولين في مركز دراسات الانتشار اللبناني - عينة لما هو محفوظ في المستودعات، مجموعات ضخمة من الوثائق والمستندات والمراسلات الخاصة الرسمية بين لبنان ودنيا الاغتراب، والصور المهجرية القديمة، معروضة في خزائن خشبية وزجاجية، وتحمل أسماء أصحاب هذه المجموعات. فمتحف المغتربين اللبنانيين الجامعي، ما كان ليبصر النور لولا تلاقي مبادرتين اثنتين: مبادرة مركز دراسات الانتشار اللبناني ومبادرة عدد من السفراء اللبنانيين السابقين ومهاجرين ومتحدرين من أصل لبناني في تقديم ما لديهم من هذه الذاكرة لعرضها في هذا المتحف.

فالمتحف الذي بدأ يشق طريقه الى التحقيق خلال العام ٢٠٠٥، مع أول مجموعة عن الهجرة اللبنانية الى البرازيل، تقدمة المستشار الثقافي السابق في سفارة البرازيل والباحث والمسؤول عن العلاقات العامة مع أميركا اللاتينية في مركز دراسات الانتشار اللبناني روبيرتو خطلب، الغني بمحتوياته، والتي تضم مجموعة كبيرة من صور اللبنانيين الأوائل في البرازيل، الى جانب مجموعة من الطوابع البريدية، الكتب والمجلات الصادرة باللغتين العربية والبرتغالية لأصحابها اللبنانيين، الى وثائق، وثمة ما يستوقف أمام هذه الجريدة، وفي عددها الصادر بتاريخ ٧ كانون الأول ١٩٤٧، وما تحويه صفحتها الأولى «افتتاحية بقلم سعيد تقي الدين، يعلن فيها تبرع الجالية اللبنانية في الفيليبين بمبلغ ٢٠ ألف دولار، في سبيل الدفاع عن فلسطين، فيما تبرز موقف لبنان من القضية الفلسطينية، تكشف ايضا عن أقدمية الانتشار اللبناني في الفيليبين، وليس بعيدا عنها، وثيقة أخرى تبرز ارسال المهاجرين أموالا الى عائلاتهم في لبنان، خلال الحرب العالمية الأولى، وثيقة تقول لنا «ما أشبه اليوم بالأمس» اذ لا يزال المغترب والمهاجر اللبناني عصب الدورة المالية الى اليوم، بما يرسل سنويا من أموال الى عائلته يصل رأسمالها سنويا الى ما يزيد عن الست مليارات دولار.

ومن كولومبيا، مجموعة ضخمة من الكتب الأدبية والمجلات اللبنانية الصادرة باللغة الاسبانية، من ضمنها مجموعة الأديبة والشاعرة من أصل لبناني ميرا ديلمار، الى مجموعة مؤلفات الأديب المهجري فرناندو داغر شديد ومجموعة المؤلف الموسيقي فرنكو جاكوبو (يعقوب)، والجناح الكولومبي، بما يحوي من مؤلفات أدبية وشعرية صادرة باللغة الاسبانية، يثبت مدى غزارة الانتاج الثقافي اللبناني، واسهامه في اثراء الساحة الثقافية الكولومبية.

أما من مجموعة الأرشيف الوطني، فيعرض المتحف نسخا من المراسلات بين لبنان ودنيا الاغتراب، من بينها مثلا كتاب موجّه من رئيس المصلحة الوطنية للتعمير في حينه اميل البستاني بتاريخ ٢٨ كانون الثاني ١٩٥٧ يعلن فيه تبرّع الجالية اللبنانية في البرازيل بمبلغ ٥٠٠ دولار، لاغاثة منكوبي الزلزال (ومن سخرية القدر اننا لا نزال لليوم نتلقى التبرعات ولا نعرف مصيرها).

الصحافة المهجرية

جرائد الاغتراب اللبناني والهجرة القديمة، تحتل مساحة، واسعة في المتحف، وهي في ما تقدم من لمحة مفصّلة عن علاقة اللبناني أينما كان بالكلمة ومهنة البحث عن المتاعب، تطل عناوينها - وفيما تبرز ما شكّل شعار ثورة الأرز في تاريخ لبنان الحديث بعد اغتيال الرئيس الشهيد رفيق الحريري - تظهر مدى تعلق المهاجرين الأوائل بجذورهم اللبنانية، وتوقهم الى

الهجرة الى أفريقيا

أما العنوان الثاني في هذا المتحف فهو «هجرة اللبنانيين الى نيجيريا في القارة الافريقية، وتعود الى عائلة المغترب اللبناني ايلي نبهان - المسؤول في مركز دراسات الانتشار اللبناني، ومجموعة ايلي نبهان الذي لم يستعد بعد جنسيته اللبنانية، غنية بالوثائق والصور وقصاصات الجرائد والمواد الثقافية، الى الأزياء التقليدية التي كان يرتديها اللبنانيون في المناسبات الوطنية منذ أكثر من ستين عاما، اضافة الى قطع زينة من العاج واللوحات الغنية، وهي من القطع التي اعتاد المغتربون اللبنانيون من احضارها معهم من بلدان افريقيا... فيما يتصدر حجر المرجان هذه المجموعة والسبب يردّه ايلي نبهان الى ان «النيجيريين ينادون اللبنانيين منذ القدم باسم «كورا» نسبة الى حجر المرجان الذي كان يتاجر به المهاجر اللبناني في افريقيا».

نماذج حيّة

أما مجموعة جامعة سيدة اللويزة الخاصة والتي ابتاعها من مصادر متعددة ومختلفة، فما هو معروض منها اليوم نموذج عما تحفظه في المستودعات، وهي تضم الى بطاقات هوية بعضها من الزمن العثماني، مراسلات بين اللبنانيين وسفراء لبنان في عدد من الدول مع الدولة اللبنانية، مراسلات عائلية، جرائد يومية قديمة صادرة في البرازيل باللغة العربية، من بينها جريدة تحمل اسم «بيروت».

ومستندات، وبطاقات هوية وجوازات سفر.

وتضيف مجموعة القنصل الفخري في البرازيل المغفور له ألبير نعمة، بعداً للهجرة اللبنانية الى البرازيل، إذ تتضمن مجموعته التي وهبتها العائلة للمتحف، الى صور مناسبات لبنانية في عدة مدن برازيلية، مجموعة من المراسلات الدبلوماسية تعود الى العام ١٩٤٩ والنصف الأول من خمسينيات القرن الماضي، من بينها رسائل موجهة من القنصل الفخري ألبير نعمة الى رئيس الجمهورية آنذاك كميل شمعون. أما في مضمون الصور المعروضة، فتؤرخ لاحتفالات المهاجرين اللبنانيين الوطنية (عيد الاستقلال) والاجتماعية، ويجاورها (أي الصور) قصاصات الجرائد التي غطّت المناسبات اللبنانية، لتتوج هذه المجموعة بمخطوطة يروي فيها القنصل نعمة رحلته الى البرازيل.